الأَجْوبَـةُ النَّـديَّـةُ

على الأسْئـلـةِ المَنْهـجيَّة

اللَّجنةُ الشَّرعيَّة

بجمْعيَّة إحْياء التُّراث الإسْلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله؛ والصلاة والسلام على رسول الله؛ وآله وصحبه أجمعين،،،

وبعد:

فمما أرْشد الله تعالى إليه عباده الصالحين؛ ومدحهم عليه؛ ما جاء في قوله عزّ وجل في سورة النساء: (وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء: 83.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى في تفسيرها: " هذا تأديبٌ مِنَ الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق؛ وأنه يَنبغي لهم إذا جاءهم أمرٌ من الأمور المهمة؛ والمصالح العامة؛ ما يتعلّق بالأمْن وسرور المُؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبةٌ عليهم؛ أنْ يَتَثبتُوا؛ ولا يَستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول؛ وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي: والعلم والنُّصح؛ والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور؛ ويعرفون المصالحَ وضدَّها؛ فإنْ رأوا في إذاعته مصلحة؛ ونشاطا للمؤمنين؛ وسرورا لهم؛ وتحرزاً من أعدائهم؛ فعلوا ذلك؛ وإنْ رأوا أنه ليس فيه مصلحة؛ أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يُذِيعوه، ولهذا قال: (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ) أي: يستخرجونه بفكرهم؛ وآرائهم السديدة؛ وعلومهم الرشيدة .

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية: وهي أنه إذا حَصَل بحثٌ في أمرٍ من الأمور؛ ينبغي أنْ يولَّى مَنْ هو أهلٌ لذلك؛ ويجعل إلى أهله، ولا يتقدَّم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب؛ وأحرى للسلامة من الخطأ . وفيه: النهي عن العَجَلة؛ والتّسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنَّظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان ؟ أم لا، فيُحجم عنه .." . انتهى

فالرجوع إلى العلماء فيما يستجدُّ من مسائل وحوادث؛ سُنّةٌ أصيلة؛ لكل مَنْ رام الهداية والسَّداد والبصيرة، لا سيما لأهل السُّنة والجماعة؛ الحريصين على الاتباع؛ والمحافظة على الجماعة؛ ونبذ الخلاف والفُرقة .

وقد قال سبحانه وتعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) النحل:43-44.

وإننا في جمعية إحياء التراث الإسلامي؛ نحمد الله الذي هيأ لنا فيها اللجنة الشرعية؛ التي تضم ثُلّة من العلماء المباركين – نحسبهم كذلك -، نرجع إليهم فيما يستشكل علينا من أمور دعوية، وهم ولله الحمد على اتصالٍ دائم بمشايخ العلم الكبار؛ وبلجان الإفتاء المعتمدة؛ ولقد عرضنا عليهم الأسئلة التالية؛ فقاموا تكرمًا بالرد عليها، فجزاهم الله عنا خيرًا ..

نسأل الله تعالى لنا ولهم السداد في القول والعمل؛ والله الموفق للصواب لا رب سواه .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وآله وصحبه أجمعين ...

السؤال الأول:

هناك داعية لها طريقتها الخاصة في تدبر القرآن؛ والتي تعتمد على إثارة الأسئلة في الذهن للمعاني غير المعروفة في الآيات؛ قبل الرجوع إلى كتب التفسير وأقوال أهل العلم ..

ما توجيه فضيلتكم تجاه هذه الطريقة ؟

الجواب:

الحمد لله؛ والصلاة والسلام على رسول الله؛ وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

وبعد:

فقد عُرِض علينا هذا الأمر؛ وهي حلقات **" تدبر القرآن "** في اللجنة الشرعية قبل أكثر من 10 سنوات، وكانت هذه الحلقات تجري في منطقة الخالدية عند جماعة أخرى، فعُرِضت علينا هذه الطريقة، ووجه لنا هذا السؤال ورقمه (589) – مرفق السؤال والفتوى - .. وقتها لم نجب حتى سألنا واستعلمنا عن الحلقات، وبعدها جاء ذلك الجواب في الفتوى المرفقة ..

ثم بعد ذلك الطريقة نفسها تقريبا؛ جاءتنا من مجموعة من الداعيات، **وهي مشابهة جدًا لها**، ومرجع هذه الطريقة؛ والطريقة التي كنّا تكلمنا عنها سابقاً؛ هو **القول بالرأي في التفسير، والتعبير عما في القلب والخاطر !!** ولا يخفى على طالب العلم السلفي؛ أنَّ مدرسة الرأي موجودة قديماً وحديثا، من أواخر عهد الصحابة إلى يومنا هذا، وهذه المدرسة عليها مُؤاخذات كثيرة؛ ومخالفات للنصوص

الشرعية؛ وهي مخالفة لهدي السلف وطريقهم في التمسك بالوحي والاتباع؛ والحذر من إعطاء العقل أكبر من وظيفته .

ونحن لا ننفي وظيفة العقل ولا نعطّلها؛ لكنْ العقل في الإسْلام والفكر؛ مضبوط بالضوابط الشرعية الصحيحة، فإذا انفلت زمام العقل والفكر؛ وقع الخلل والانحراف والتخبط .

والمدارس الكلامية؛ أو المدارس الآرائية؛ ومدرسة الكلام؛ كما هو معلوم مدرسة خطيرة؛ أنتجت انحرافات خطيرة؛ من تحريف معاني كلام الله تعالى، ومعاني أسماء الله وصفاته، وتعلقت بأقوال الفلاسفة وأهل الكلام؛ حتى صارت كلمات الفلاسفة الوثنيين وأقوالهم؛ تُدون في كتب العقيدة الإسلامية ؟؟ التي يزعمون أنها كتب عقيدة وتوحيد ؟! لكنها في الحقيقة كتب كلام وفلسفة وضلال ..

وقد اشتد نكير السلف رحمهم الله تعالى على هذه المدرسة الكلامية؛ والتي تقوم على الرأي والعقل .

قال إمام السُّنة أبو المظفر السّمعاني رحمه الله: " اعلم أنّ فصل ما بيننا وبين المبتدعة: هو مسألة العقل؛ فإنهم أسّسوا دينهم على المَعقول؛ وجعلوا الإتباع والمأثور تبعا للمعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدّين الاتباع؛ والعقول تبعٌ؛ ولو كان أساس الدّين على المعقول؛ لاسْتغنى الخَلْق عن الوحي.. وعن الأنبياء صلوات الله عليهم !! ولبطل معنى الأمر والنهي؛ ولقال مَنْ شاء ما شاء؛ ولو كان الدين بُني على المعقول؛ وجب أنْ لا يجوز للمؤمنين أنْ يقبلوا أشياء حتى يعقلوا !!

ونحن إذا تدبّرنا عامّة ما جاء في أمر الدّين؛ مِن ذكر صفات الله عز وجل؛ وما تعبّد الناس باعتقاده؛ وكذلك ما ظهر بين المسلمين؛ وتداولوه بينهم؛ ونقلوه عن سلفهم؛ إلى أنْ أسندوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر عذاب القبر وسؤال الملكين؛ والحوض والميزان والصراط؛ وصفات الجنة والنار؛ وتخليد الفريقين فيهما؛ أمورٌ لا تُدرك حقائقها بعقولنا؛ وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها؛ فإذا سمعنا شيئًا من أمور الدين وعقلناه وفهمناه؛ فلله الحمد في ذلك والشكر ومنه التوفيق؛ وما لم يمكنّا إدْراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا؛ آمنا به وصدقنا واعتقدنا أنّ هذا من قبل ربوبيته وقدرته؛ واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيئته؛ وقال تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) الإسراء:85 .

وقال تعالى: (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء) البقرة: 255 " .

ثم قال رحمه الله: " وإنمَّا علينا أنْ نقبل ما عقلناه؛ إيمانًا وتصديقًا؛ وما لم نَعقله؛ قبلناه تسليمًا واستسلامًا؛ وهذا معنى قول القائل من أهل السُّنّة: إنّ الإسْلام قنطرة؛ لا تعبر إلا بالتسليم " . الانتصار لأهل الحديث (183-182).

وهذه المدرسة – مدرسة العقل والرأي - موجودة في كلّ عصر ومصر .. وهي مدرسة **تزاحم النصوص؛ وتزاحم المدارس السلفية** التي تقوم على الكتاب والسنة؛ والتمسك بالأحاديث النبوية؛ والآثار المروية عن الصحابة رضي الله عنهم؛ والتابعين لهم بإحسان .. وتنتهج نهجاً مُحْدثاً بدعياً ..

ولما عُرضت علينا طريقة **"حلقات التدبر"** وأنشطتهم وما يسيرون عليه في حلقاتهم؛ لم نجد فيها الرجوع إلى كتب التفسير المعتمدة المشهورة؛ وأقوال السلف والعلماء ..

بل كيفية التدبر في القرآن لديهم كما في مذكراتهم: تكرار قراءة الآيات .. ثم استخراج الكلمات المكررة .. واستخراج الكلمات التي حولها اسْتفهامات .. وضع الأسئلة على الآيات .. إلخ

فلا يُذكر فيها الرجوع لأهل العلم، أو المصادر الموثوق بها من كتب التفسير..لا المُطولة ولا المختصرة؛ لا القديمة ولا الحديثة ..

والمعروف عند العلماء: إنّ المبتدئ في طلبه لعلم التفسير؛ يبدأ بكتب التفسير المختصرة؛ أو يبدأ بكلمات القرآن وهي أخصر من التفسير المختصر .. ثم يقرأ شيئاً ميسراً في التفسير ..

لكن هذه الحلقات المسماة - **حلقات التدبر** – لا يعوّلُ فيها على كتب التفسير إلا آخرًا **؟!** وربما لا يذكر الرجوع لها ؟ وهذا لا شك أنه من تقديم العقل على النقل .. **وأنَّ هذه مدرسة تقوم على الرأي؛ وليست سلفية الطريق** ..

وقد قال الله تعالى محذراً للمؤمنين: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) الحجرات:1- 2.

قال الحافظ ابن كثير: أي: لا تُسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعاً له؛ في جميع الأمور انتهى .

وقال سبحانه أيضاً: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) الأحزاب: 36 .

- ومن المُهمّ أيضاً: جَمْع النصوص الواردة في الباب الواحد؛ وفهمها جميعاً؛ وهو سبيل أهل السُّنة والجماعة؛ بخلاف أهل البدع والضلال؛ الذين يعتمدون على نصٍّ واحدٍ أو أكثر؛ دون النظر والأخذ ببقية النصوص الشرعية الواردة في الباب؛ وربما عارضوا بنصٍّ واحدٍ؛ نصوصاً أخرى؛ فيكون هذا من اتباع المُتشابه؛ الذي حكاه الله تعالى عن أهل الزيغ والضلال؛ بقوله: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) آل عمران: 7 .

وفي الحديث الصحيح: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلستُ أنا وأخي مجلساً ما أحبُّ أنّ لي به حُمُر النَّعم؛ أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخةٌ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلوسٌ عند باب من أبوابه؛ فكرهنا أنْ نفرق بينهم فجلسنا حجرة؛ إذْ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها؛ حتى ارتفعت أصواتهم؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً قد احْمرَّ وجهه؛ يرميهم بالتراب؛ ويقول: " مَهْلاً يا قوم؛ بهذا أُهلكتِ الأُمم مِنْ قبلكم؛ باخْتلافهم على أنْبيائهم؛ وضَرْبهم الكتبَ بعضها

ببعض؛ إنَّ القرآنَ لم يَنزل يُكذّب بعضه بعضاً؛ بل يُصدّق بعضُه بعضاً؛ فما عَرفتم منه فاعْملوا به؛ وما جَهلتم منه؛ فردُّوه إلى عالمه " . رواه أحمد (181/2).

فالمدرسة السلفية أُصولها في التفسير معروفة، وعلم التفسير؛ ومنه: التّدبر؛ والذي هو ثمرةٌ من ثمراته؛ والذي هو أحدُ فنون علوم القرآن، هذا العلم هو كغيره من العلوم الشرعية .. مضبوطٌ بالضوابط الشرعية .. كعلم العقيدة .. أو الحديث؛ أو علم الفقه .. أو أو حتى علم النحو .. فما منْ علمٍ إلا وهو مضبوط بالضوابط والقواعد التي قرَّرها أهله؛ وله خطواتٌ معروفة مشهورة ومعتمدة؛ لدراسته وإتقانه؛ وذكرها أهلُ العلم بقواعدها وضوابطها .. لذلك نحن في الفتوى السابقة؛ أحلنا إلى كتاب شرح **"أصول التفسير"** للشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ وهو أصلًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ وشرحه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في دروسه ..

وشيخ الإسلام في هذا الكتاب **"أصول التفسير"**؛ نقدَ كتبَ التفسير التي تقوم على الرأي .. والتي فيها أحيانًا ضلال المُعتزلة وغيرهم من المتكلمين؛ مثل كتاب الكشاف للزمخشري؛ وكتاب الخازن الأشعري .. وقدّم مقدمة طويلة في علم التفسير .. والكلمة المهمة التي تُحفظ عنه في هذا الكتاب؛ هي قوله: " ومعرفة ما يُستفاد أو ما يُؤخذ من الآية؛ دون فهمها أو تفسيرها؛ ضلالٌ مبين "..

فأنت إذا كنت تريد أنْ تقفَ على الثمرات في التفسير .. **والتدبّر ما هو إلا ثمرةٌ من هذه الثمرات** .. ومعلوم أنَّ الثمرة لا تكون قبل أنْ يبذر الإنسان ويزرع؛ ويسقي ويتعاهد؛ ثم تكون الشجرة ثم بعد ذلك تأتي بالثمرة .. أما أنْ تأتي إلى الآية من القرآن؛ وتقول: أعطني ثمرات هذه الآية .. والحاضرون أصلًا لم يحيطوا علمًا بمعاني هذه الآيات؛ التي نريد أنْ نتدبرها**!! فهذا استباق وتقدّمٌ بين يدي الله ورسوله .. وهذا قولٌ بالرأي المجرد .. وهو مذموم ..**

وقد صحَّ عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث أنه قال: **"مَنْ قالَ في القُرْآن بِرأيه؛ فليَتبوَّأ مَقْعدَه مِنَ النّار" .**

أخرجه الترمذي (2951) والنسائي في فضائل القرآن (109/ 110)، والأمام أحمد في المسند .

وهذا وعيدٌ شديد؛ وترهيبٌ عظيم؛ لمن قالَ في آيات الله تعالى بغير علم .

وكيف يجرؤ الإنسان أنْ يتكلم في كتاب الله تعالى؛ ويستخلص - كما يزعم الفوائد والثمرات - وهو لمّا يقف على معاني الآيات بعد ؟! بل لمّا يُصحّح تلاوته للقرآن ؟! وقراءته للحروف ؟!.. فهو لم يعرف معنى (الصّمَد).. ولا معنى كلمة (غَاسِق) .. ولا معنى (غثاءً أحْوَى) ولا (والليل إذا سَجَى) وغيرها من الكلمات .. فتمر عليه معاني كلمات لا يعلمها؛ ولا يفهم معناها؛ فكيف يتدبّرها ويستفيد مما وراءها؛ ويأتي بثمراتها؛ وهو أصْلًا ما وقف على معاني هذه الكلمات ؟؟؟!!

- خطورة هذا الباب: وهذا الطريق؛ لا شك أنَّه يفتح بابَ الشر والفساد في الأفْهام؛ حيث تصبح النصوص الشرعية ألعوبة بيد العابثين؛ كلٌ يَفهم منها ما يَشاء ؟ وبما يُوافق هواه ومزاجه وعقله؛ فيضيع الحقُّ والهُدَى الذي أراده الله عزّ وجل من هذه النصوص؛ وهذا مناقضٌ لحِكمة الله تعالى؛ مِنْ جعلِ هذه الآيات هدايةً للناس إلى الصراط المستقيم؛ وإخْراجهم من الظُّلمات إلى النور؛ كما قال تعالى

عن كتابه الكريم: (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) المائدة: 16.

وهو ما نشأ عليه المسلمون في مدارسهم؛ وفي حلقاتهم العلمية؛ قديماً وحديثاً؛ وفي جامعاتهم حديثاً؛ من الوقوف على معاني كلام الله سبحانه وتعالى؛ من كلام العلماء المختصين؛ ثم استنباط الفوائد والعبر والدروس والحِكَم والأحْكام منها ..

وإذا كان الصحابة؛ تلتبس عليهم بعض معاني الآيات؛ فيَرجعون إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فيعلّمهم المعنى؛ ويفهمهم المُراد؛ مثل قوله تعالى (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم..) الأنعام: 82. فهذه الآية التبست على الصحابة؛ فعن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: (الذين آمنُوا ولم يَلْبِسُوا إيمانَهم بظلمٍ) شقَّ ذلك على الناس؛ وقالوا: يا رسول الله، فأيُّنا لا يَظْلم نفسه ؟ قال: " إنه ليس الذي تَعنُون ! ألم تَسْمعوا ما قال العبدُ الصالح: (يا بُنَيَّ لا تُشْرك بالله إنَّ الشَّركَ لظُلْمٌ عَظيمٌ) لقمان: 13 . إنما هو الشَّرك" . رواه أحمد والبخاري .

فإذا كان الصحابة الذين هم عَربٌ أقْحاح؛ لا تخفى عليهم معاني كلمات القرآن إلا قليلاً، ومع ذلك لم يفهموا المراد من هذه الآية؛ إلا بالرجوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فكيف بمن يحضر الحلقات من العوام؛ أو من المتدربّات أو من المبتدئات ؟! كيف يطلب منهم القول والبيان؛ بل التدبر لمعاني كلام الله تبارك وتعالى وآياته ؟!

وهل يصح أصلاً أنْ نقيس أنفسنا بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

والأمر الثاني: أنَّ الصحابة فهموا الآية على غير مرادها؛ لكن الرسول صلى الله عليه وسلم صحّح لهم الفهم؛ وأزالَ عنهم الإشْكال من الآية؛ وهذه الآية لو طُرحت في حلقات التدبر؛ أو تم تفسيرها هكذا دون الرجوع إلى أسباب النزول؛ لضللنا !! ولحكمنا على كل مَنْ ظَلم؛ بأنه ليس له أمنٌ ولا اهتداء .. وليس هذا هو معنى الآية .. وهذا مِن أعظم الأدلة على أنّ أهمية التفسير بالمأثور؛ وأنه هو المنهج الذي سار عليه السّلف رضوان الله عليهم، وهو المنهج الذي سرنا عليه وأخذناه ودرسناه عن مشايخ أهل السُّنة والسلفيين؛ وهو باختصار: يقوم على تفسير كلام الله تعالى؛ بكلام الله أولاً .. ثم بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثور في الأحاديث النبوية ثانياً .. ثم بالمأثور عن الصحابة والتابعين؛ ومن تبعهم بإحْسان من أئمة المسلمين .

- مثال آخر: قوله تعالى: **(إنّا أعْطَيناكَ الكَوْثر)** الكوثر: 1 . ما هو الكوثر المذكور في الآية ؟

في اللغة: الكوثر مِنَ الكثْرة .. فلو أردتَ أنْ تفسَّر الكوثر باللغة فقط؛ وقلت: هو الخير الكثير؛ وسكت ؟ لأخطأتَ معنى الآية؛ وضللتَ وأضللت ..

فقد ثبت: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: " دخلتُ الجنة فإذا أنا بنهرٍ، حَافتاه خِيامُ اللؤلؤ، فضَربتُ بيدي إلى ما يَجْري فيه المَاء، فإذا مِسْك أذفر . قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكَوْثر؛ الذي أعْطَاكه اللهُ عز وجل " . متفق عليه .

إذن المسلم إذا لم يرجع إلى السُّنة النبوية؛ في تفسير الكوثر؛ سيضل ويخطئ .. وأمثالها كثير ..

ولا يمكن أنْ يُفسّر المسلم كلام الله عز وجل؛ دون الرجوع إلى الذي أنزل عليه ؟ وهو الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الذي يقول الله له: (وما أنْزلنا عَليك الكتابَ إلا لتبيّن لهم الذي اخْتلفوا فيه وهُدىً ورحمةً لقومٍ يؤْمنون) النحل: 64 .

وقال سبحانه: (وأنزلنا إليكَ الذِّكرَ لتبيّن للنَّاسِ ما نُزّل إليهم ولعلّهُم يتفكَّرُون) النحل: 44.

وقال قبلها: (فاسْئلوا أهلَ الذّكر إنْ كنتم لا تعلمون * بالبيّنات والزُّبُر) النحل: 43.

وقال عز وجل: (فإذا قَرَأنَاه فاتّبعْ قُرآنه * ثم إنّ علينا بَيَانه) سورة القيامة: 18- 19 . يقول تعالى ذكره: فإذا قرأه جبريل عليه السلام فاستمع لقراءته؛ وأنصت له؛ ثمَّ اقرأه كما أقرأك إياه؛ ثمَّ إنَّ علينا بيان ما فيه من معانٍ وأحْكام؛ وحلال وحرام، وبيانه لك مُفصّلاً .

فكيف إذن نُعْرض عن بيان الله تعالى؛ وبيان رسوله صلى الله عليه وسلم لنا ؟! ونعتمد على أفكارنا وتخيلاتنا؛ وعقولنا وساوسنا ؟!

فالاعتصام بالكتاب والسُّنة؛ نجاةٌ وعِصمة من الخطأ والزّلل؛ وفهمهما بفهم الصحابة رضي الله عنهم؛ والتابعين لهم بإحْسان؛ هو منهج أهل السنّة والجماعة؛ البعيد عن اتباع الأهواء والأفكار؛ والتقوّل على الله تعالى بغير علم؛ الذي حذّرنا الله منه فقال: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) الإسراء: 36 .

- نعود فنقول: هذا هو المنهج العقلي؛ وهذه هي المدرسة العقلية؛ وهي مدرسة موجودة إلى اليوم؛ ولا ننكر ذلك .. ومَن أصرّ على التزام هذا الطريق بعد البيان له؛ وبعد النقاش معه؛ وإقامة الحُجة عليه؛ فله منهجه وطريقه .. وله مذهبه الذي اختاره وارتضاه .. ولنا منهجنا ومذهبنا وطريقنا الذي نسير عليه ونتّبعه ... ونتمسّك به .. ولو خالفنا الناس كلّهم ؛ ولو هجرونا وتركونا ..

ونحن لو نظرنا إلى المذاهب الفقهية مثلاً في العالم الإسلامي؛ لوجدنا أحياناً مُفْتيا يظهر في التلفزيون أو الإذاعة أو في الصحف؛ ويتحدّث بالأحاديث الضعيفة؛ بل والمنكرة والموضوعة أحيانا؛ ويفتي بالرأي؛ ويُؤخّر النّصوص الشرعية؛ ويحرّف معانيها الحقَّة إلى معاني باطلة .. ويأتي بالآراء المذهبية والكلامية والعقلية .. فهذا المنهج الفاسد؛ منهجٌ موجود على الساحة الدعوية والعلمية والعقدية والفكرية ...

- منهج المُتَّصوّفة في تفسير القرآن الكريم: ولو أردنا أنْ ننظر إلى مناهج التَّصوّف؛ فالمنهج أيضا موجود بصورٍ متعدّدة .. من تفسير النصوص بالوجْد والذَّوق؛ والظّاهر والباطن؛ والإشارات الخفية؛ وغير ذلك؛ إذْ يقولون: " ما من آيةٍ في القرآن؛ إلا ولها أربعة معان: ظاهرٌ وباطن؛ وحدٌّ ومَطْلع، فالظاهر: التلاوة، والباطن: الفهم، والحدّ: حلالها وحرامها، والمطلع: إشراف القلب على المراد بها؛ فقهاً من الله عزّ وجل !! فالعلم الظاهر علمٌ عام، والفهم لباطنه، والمراد به خاص ؟ " . انظر مقدمة تفسير "سهل التُستري" أحد أعْلام المتصوّفة في القرن الثالث .

ومن خلال العبارة السابقة؛ يتبين أنّ المتصوفة يرون أنّ الظاهر: هو المعنى اللغوي الذي يعرفه العربي، أما المعاني الباطنة فلا يعرفها إلا أهلُ الله !! بتعليم الله إياهم وإرشادهم !! وحال التسترى في ذلك؛ حال كثير من الصوفية الذين قاموا بتفسير القرآن، معتمدين في ذلك على ما يُسمى: بعلم الإشارة، وهو علمُ ما في القرآن من أسْرار، وتأويل القرآن الكريم بغير ظاهر عباراته !! لإشارات خفيّة؛ لا تظهر إلا لأرباب السلوك والتَّصوف؛ وأهل الحقيقة أو المشاهدة !!

- وهكذا جملة من المناهج المنحرفة: المعروفة قديماً وحديثاً؛ لكن يبقى لنا نحن منهجنا .. ولنا طريقنا الذي نسير عليه؛ وفارقنا عليه الناس؛ ولا نتركه لا لقريبٍ ولا لبعيد .. ونحن لا نجبر الناس إلا بما ألزم الله تعالى به المؤمنين؛ مِن طاعته سبحانه وتعالى؛ وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم .. فمن أحبّ أنْ يطيع الله ورسوله؛ ويدخل معنا على منهجنا هذا؛ باتباع الكتاب العزيز؛ والسّنة النبوية؛ بفهم سلف الأمة؛ التي هي أسلم الطرق حتى بشهادة العقلانيين أنفسهم .... إذْ قالوا: إنّ طريقة السَّلف: أسْلم وأعلم وأحكم ...

- وكذلك منهج أهل الكلام والفلْسفة: فلهم طريقهم ومنهجهم في التفسير؛ فهذا الرازي لو رجعنا إلى كتابه "التفسير الكبير" أو " مفاتح الغيب "؛ لوجدنا فيه العَجَب العجاب .. فهو في الأصْل كتاب تفسير يتكلم عن تفسير القرآن؛ ولكنه أيضاً يتحدّث عن الطُّرق الكلامية الفلسفية من خلال التفسير .. بل وعن طرق السّحر أحياناً .. وعن الفلك والنجوم .. وعن طرق مخاطبة الجن ؟! .. فهو كتاب جمع ما هبّ ودب ..

لكن الرازي عفا الله عنه؛ لما حضرته الوفاة؛ تمنّى لو أنه مات على ما كان عليه العجائز؛ يعني من الإيمان والتصديق؛ والأخذ بالدليل؛ واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم .. وطريق السلف .. والبُعد عن هذه الطرق كلها .. حيث يقول: " لقد تأمّلت الطُّرقَ الكلامية؛ والمناهجَ الفلسفية؛ فما رأيتُها تَشفي عَليلا؛ ولا تَرْوي غليلا، ورأيت أقربَ الطرق طريقةَ القرآن، أقرأ في الإثبات: (الرَّحمنُ على العَرش اسْتوى) (إليه يَصْعدُ الكَلِم)، وأقرأ في النفي: (ليس كَمِثْله شيءٌ)، ومَنْ جرَّب مثلَ تجربتي؛ عَرَفَ مثل معرفتي ...".

فنحن نقول هذا المنهج الفكري موجود؛ ومَن أصرَّ على البقاء عليه؛ نحن لا نملك إلا أنْ نقيم عليه الحجة؛ ونكرّر عليه الدعوة؛ ونكرّر عليه الحُجج والبراهين؛ فإنْ استجاب فبها ونعمت؛ وإنْ أصرّ على طريقه فالسّاحة واسعة، فنحن ما عندنا سُلطة قضائية .. لنا سلطة على إخواننا بالتطاوع .. والإلزام بالكتاب والسنة؛ بقول الله تعالى؛ وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم .. وبالأمر بالمعروف الذي أمر الله به؛ والنهي عن المُنكر الذي نهى الله تعالى عنه .

السؤال الثاني: ما حكم وضع الأسئلة على الآيات؛ قبل دراسة الآيات؛ وقبل النظر بكتب التفسير .. كوسيلة من وسائل التعليم بالاستفهام .. مثل ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" أتدرون ما الغيبة ؟ ".

الجواب: إذا كانت هذه الطريقة لجذب انتباه الطلبة مثلًا: ما المقصود بهذه الآية ؟ ما المقصود بهذه الكلمة ؟؟ .. ثم يأتي بالجواب فيقول: نحن سنتطرق إلى إجابة هذه الأسئلة في درسنا اليوم .. هذا لا إشْكال فيه ..

أما التوسّع في ذلك؛ وحمل الطلاب على كتابة أجوبة؛ فهذا خطأ !! لأنّ هذا يحتاج إلى العلم بالعربية؛ والعلم بمدلول الآيات وتفسيرها .

وإنْ كان الغرض الأساسي مِنْ استخدام أدوات الاستفهام في اللغة: هو طلبُ المعرفة، لكن هناك بعض المعاني البلاغية الأخرى لأدوات الاستفهام؛ ولا يكون المطلوب منها هو الحصول على إجابة، إنما تأتي لمعانٍ أُخرى، تُعرف بالقرائن، ودلالة سياق الكلام في الآيات، مثل: الاسْتفهام الإنكاري؛ كقوله تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الأنعام: 14.

وقول مريم: (أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ) مريم: 20 .

وهناك الاستفهام التقريري؛ مثل قوله تعالى: (ألمْ نَشْرحْ لك صَدرك) الشرح: 1 .

وهناك الاستفهام للنفي؛ مثل قوله تعالى: (فمنْ يَهْدي مَنْ أضلّ الله) الروم: 29 .

والاستفهام التهكّم والاسْتهزاء؛ مثل قوله تعالى: (قالوا يا شعيبُ أصلاتُك تَأْمرك أنْ نتركَ ما يعبدُ آباؤنا أو أنْ نفعلَ في أمْوالنا ما نشاء) هود: 87 . إلى غيرها من المقاصد .

فهو إذن علمٌ شريف من علوم اللغة والتفسير؛ لا يُتكلم فيه بغير علمٍ؛ وفن شريف تكلم عنه العلماء في تفاسيرهم؛ وممن بحث فيه وألّف في عصرنا: د. محمد عبدالخالق عضيمة رحمه الله، في كتابه النفيس " دراسات لأسْلوب القرآن الكريم "، وقد استقصى رحمه الله الأمثلة للاستفهام بأنواعه في القرآن الكريم .

ووَضْعُ الأسئلة؛ قبل الرجوع إلى كتب التفسير؛ وقبل الوقوف على معاني الآيات .. فيه ما فيه من الاستعجال؛ ومخالفة سبيل المتعلمين لكتاب الله تعالى كما هو ظاهر .

ثم هذه الأسئلة التي تُطرح؛ كثيرٌ منها؛ يُعرف معناه؛ بمجرد أنْ تقرأ معنى الآية وتفسيرها؛ فينتهي السؤال الذي في قلبك وذهنك ..

السؤال الثالث: ما حُكم اسْتخلاص المَفَاهيم؛ وصناعتها بواسطة التَّتبع والاسْتقراء في القرآن ؟

الجواب:

هذه الطريقة وهي "التتبع لألفاظ القُرآن واستخلاص القواعد والضوابط والمفاهيم" هي طريقة الشخص المتقدّم في العلم، أما أنْ تُطرح على طالبات علم مبتدئات في علم التفسير .. جاهلات بمعاني الآيات .. فكيف يكون هذا ؟! فهذا مثل أنْ تأتي بطلاب الابتدائي؛ وتفرض عليهم مناهج الثانوي أو الجامعة ؟!

فالاسْتِقْرَاءُ هو: تتبع الجزئيات؛ للوصول إلى نتيجة كُلِّيَّة .

واستقرأ الأمْرَ أو الشَّيءَ: استقراه، وتفحّصه، ودرسه بعناية؛ وتتبّعه؛ لمعرفته من جميع جوانبه .

فهو إذن يحتاج إلى شخصٍ مُتبحّر في العلم؛ ففي علم التفسير .. هناك أئمة جمعوا أقوال أهل العلم؛ فلا يكاد يفوتهم شيءٌ؛ كالإمام الطبري شيخ المفسرين؛ وابن الجوزي في كتابه " زاد المسير "؛ وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه وفتاويه؛ وابن القيم؛ وابن كثير وغيرهم ممن جمع التفسير ودونه .

ومثل: برهان الدّين البقاعي صاحب كتاب " نَظْم الدُّرر في تَنَاسب الآيات والسور" .. هو شيخ متبحّر في علم التفسير؛ وألّف هذا الكتاب .. وذكر فيه مناسبات ترتيب السور والآيات، وأطال فيه التدبر وأنعم فيه التفكر لآيات الكتاب، وقد شمل كتابه أحد جوانب الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، وبيّن الربط بين جميع أجزاء القرآن وسوره، ووجه النّظم مفصلا بين كلّ آيةٍ وآية؛ في كل سورة من القرآن الكريم.

فنقول: هي مرتبة عالية في علم التفسير؛ وللوصول إليها لا بد من التدرّج في طلب العلم؛ وسلوك الخُطوات المطلوبة لفهم القرآن والسنة؛ ودراسة أقوال سلف الأمة .. فهذه هي الخطوات التي سار طلاب العلم عليها في أمة الإسلام؛ **ومن تجاوزها اليوم؛ ولم يعمل بها؛ حدث عنده خللٌ في التَّعلم والعِلم** .

وكما قيل قديماً: من ضيَّع الأُصول؛ حُرم الوصول ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه " أصول التفسير": قال أبوعبد الرحمن السُّلمي: حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن: عثمان بن عثمان؛ وعبد الله بن مسعود وغيرهما؛ أنهم كانوا إذا تعلَّموا من النَّبي صلَّى الله عليه وسلم عشرَ آيات؛ لم يتجاوزوها حتى يَعْلمُوا ما فيها مِن العلم والعمل، قالوا: فتعلَّمنا القرآن؛ والعلمَ والعمل جميعاً .

وقال الحسن البصري: ما أنزل اللهُ آيةً؛ إلا وهو يُحبُّ أنْ يَعْلم في ماذا نزلت ؟ وماذا عَنَى بها ؟

ولا يصح أنْ يكون عندي مجموعة من المتعلّمين؛ وأجرّب فيهم أساليب جديدة؛ محدثة مخترعة في التعليم .. فهذا نوع من **الثورة والتمرّد على المفاهيم القديمة؛ المأثورة عن سَلف الأمة وعلمائها ..**

ونُؤكِّد فنقول: الطريقة التي تلقّاها الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم في فهم القرآن؛ والعمل به؛ وتابعهم عليها السلف؛ وساروا عليها؛ ما وُضعت اعتباطًا ولا كانت صُدفة .. بل هي التي سار عليها النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه؛ والصحابة من بعده؛ والتابعون لهم بإحسان؛ من التدرّج في التعلم؛ وبها تعلّمت الأمّة على مرّ الأجيال؛ وتخرّج بها فطاحل العلماء والأئمة ...

كما قال تعالى: (ولكنْ كُونُوا ربَّانيينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) آل عمران: 79.
والرباني: هو الذي يربّي الناس بصغار العلم؛ قبل كباره .

وقال علي وابن عباس والحسن: كونوا فقهاء علماء . وقال قتادة: حكماء وعلماء . وقال سعيد بن جبير: العالم الذي يعمل بعلمه، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: فقهاء معلمين .

فهذه سبيل المؤمنين؛ والتي أمرنا الله عز وجل باتباعها في كتابه؛ وحذّرنا الله من مخالفتها؛ فقال: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء: 115 .

- وأمر سبحانه بمتابعة الصّحابة ومن اتبعهم في ذلك؛ حيث قال: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) البقرة: 137.

أي: إذا صَدقوا وآمنوا وأقرّوا بذلك، بمثلِ ما صدّقتم أنتم به أيّها المؤمنون؛ وأقررتم واتبعتم , فقد وُفِّقوا ورَشِدوا، ولزموا طريق الحق واهتدوا , وهم حينئذ منكم وأنتم منهم، بدخولهم في سبيلكم وطريقتكم وملتكم بإقرارهم بذلك .

وإنْ تولوا عن ذلك؛ فلم يؤمنوا بمثل إيمانكم - أيّها المؤمنون بالله - ولم يُتابعوكم؛ فاعلموا إنما هُمْ في عصيان؛ وفِرَاق؛ وحَربٍ لله ولرسوله ولكم .

- ونتساءل فنقول: هل يتصوّر المسلم أنه بهذه الطرق المستحدثة الجديدة؛ سيفوق شيخ الإسلام علماً ومنزلة مثلاً ؟ أو الإمام ابن القيم؛ أو الحافظ ابن حجر؛ أو الحافظ ابن كثير مثلاً ..؟! أو غيرهم من أئمة المسلمين؟!

بل الصحيح: أنّ هذه الطرق الجديدة تُورث أمْراضًا وخللًا علمياً وسُلوكياً .. وقد حدث بالفعل خلل في بعض أتباع هؤلاء .. فصار التوحيد عندهم مجرد المحبّة بالقلب؛ وتعظيم الرب !! فلا يوجد في كلامهم شيء عن أقسام التوحيد الأخرى؛ ولا التحذير من الأمور العملية المخالفة للتوحيد؛ ولا الشرك العملي؛ فلا تجد لهم كلام عن شرك القبور؛ ودعاء غير الله تعالى؛ ولا حرمة الذبح لغير الله؛ ولا النذر لغير الله .. ولا الحلف بغير الله؛ بل ولا الكلام عن عبادة الأصنام ونحو ذلك .. كأنَّ هذا ليس علاقة بالتوحيد .. أو ليس مهماً **.. فالتوحيد صار عندهم مجرد معرفة قلبية؛ ومحبة وعلم وتعظيم؛ وحديث عن أسْماءِ الله الحسنى وصفاته !!** وهو توحيد المتصوّفة وأشباههم من أهل الكلام؛ وسلوكهم في دروسهم وكتبهم؟!

وهذا الخلل سببه خللٌ في التَّلقي والتعليم .. **بسبب تجاوز ما وضعه أهلُ العلم قديمًا وحديثًا من الأصول والقواعد في العلوم الشرعية كلها** .. وعدم السير عليها .. وهذه العلوم الشرعية يُكمل بعضها بعضًا ..

ولهذا يشترط في المُفتي الذي يُفتي الناس في الحلال والحرام .. يشترط فيه المعرفة بالنحو .. لماذا ؟؟! فما علاقة النحو بالحلال والحرام ؟؟! لأنّ هذه العلوم مرتبطة بعضها ببعض .. فلا يفهم كتاب الله وسنة رسوله إلا بمعرفة اللغة العربية وقواعدها .

فقضية الاسْتقراء والتَّتبع؛ لا نردّها كعلم موجود ومعروف؛ لكن كما قال أهل العلم: **إنّ الإنسان لا يتوسّع في دراسة قضية جزئية؛ إلا بعد أنْ يُتقن أصول العلم** ..

فإذا أردت أنْ تتبحرَ في علم أسماء الله تعالى وصفاته؛ لا بدّ أنْ تحيط أولًا بكل أنواع التوحيد الثلاثة: الألوهية، الربوبية، الأسْماء والصفات؛ ثم تتوسّع في الأسماء والصفات .

ولو جاءنا إنسانٌ وقال: أريد أتبحّر فقط في دراسة أسْماء الله وصفاته فقط .. **سيحصل عنده خلل في توحيد الألوهية ..**

فربما لو سمع إنساناً يحلف بغير الله؛ لم يُنكر عليه .. لأنه لا علم له بذلك، ولو رأي من يذبح لغير الله .. أو يطوف بقبر .. لم ينكر عليه .. لماذا ؟؟!! لأن عنده خلل ونقص في معرفة علم التوحيد ..

السؤال الرابع: ما هو الخَلل في منهج المفسر: الطاهر ابن عاشور ؟؟ وهل تنصحون في توجيه طالبات العلم والعوام للقراءة من تفسيره (التحرير والتنوير)؟.....

الجواب:

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله هو عالم تونسي؛ له كتاب اسمه " التَّحرير والتنوير " بدأ فيه بذكر علوم القرآن؛ وجعل فيه عشر مقدمات في علوم القرآن: فضل علم التفسير- ومن أين يؤخذ علم التفسير- ومعنى التفسير بالمأثور وبالرأي - إلى أسباب النزول والقراءات .. الخ ..

أما عقيدة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور؛ فهو على منهج الأشاعرة عموما؛ في الأسماء والصفات وغيرها؛ لكنه غير متعصب؛ وهو يرد أحيانًا على الأشاعرة بعض التأويلات في بعض المواضع وينصر قول السلف .. ويمكن أنْ يُعذر لكونه نشأ في بيئة أشعرية ..

أما بقية أبواب العقيدة؛ فلا بأس به؛ مثل إثباته أن الإيمان قول وعمل، وأنَّ مرتكب الكبيرة غير خارج من الملة، ويثبت الشفاعة؛ ويثبت رؤية الله في الآخرة ..

وربما الذي جذب كثيرًا من الناس إلى هذا التفسير؛ هو أنه كتابٌ تفسير عصري؛ ويهتم بالنواحي التربوية المعاصرة؛ ويعالج بعض المشكلات المعاصرة؛ ويردّ على بعض المذاهب والخرافات والبدع التي عاصرها في وقته .. وله عناية في مجال توضيح أساليب القرآن؛ والكلام على ما فيه من البلاغة .

ونلمس عند البعض غلوًا في هذا الكتاب؛ بحيث قدّمه على تفاسير السلف ..

ونحن عندنا كتبٌ رصينة؛ لمشايخ وعلماء مشهورين بانتمائهم للمدرسة السلفية؛ ومنهجهم واضح؛ وعقيدتهم سلفية؛ منهم: الإمام الطبري شيخ المفسرين .. والإمام البغوي .. والحافظ ابن كثير .. وتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يكاد يستوعب كل القرآن؛ وكذلك تفسير الإمام ابن القيم .. وتفسير القاسمي تفسير سلفي وقريب ومعاصر .. وتفسير السعدي ... مبارك وفوائده كثيرة ...

السؤال الخامس: هل من منهج السلف التكلم عن العلماء المخالفين لمنهج السلف؛ مثل ما سبق عن الطّاهر بن عاشور وغيره؟؟

الجواب:

نعم؛ لا شك أن من منهج السلف: التّنقية والتّصفية بكلِّ معانيها؛ وبيان الحق من الباطل؛ والصواب من الخطأ؛ والردّ على المخالف ..

فالردّ على المُخالف، أصلٌ من أصول أهل السُّنة والجماعة، وعبادةٌ عظيمة، ومقام جليل في الشريعة، وواجبٌ مِنْ واجباتِ الإسلامِ الكِبارِ على أهلِ العلمِ المتأهلينَ فيه، وبه يُحفظُ الدِّينُ منْ التبديلِ فيه، والتحريفِ عليه، وهو من الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنكر، والدَّعوة إلى الله عزّ وجل، الذي استحقّت به الأمة الإسْلامية الخيرية على كلّ الأمم، كما قال تعالى: (كنتم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس تأمرونَ بالمَعروف وتَنْهونَ عن المُنكر) آل عمران: 110.

ولولا الردّ على المُخالف، لقال مَن شاء ما شاء.. كما قال السلف .

لكن لا بدّ لمن أراد الدخول في هذه العبادة العظيمة، من مراعاة الضوابط الشرعية لها، المأخوذة من الكتاب العزيز، والسُّنة النبوية الشريفة، وهدي سلفنا الصالح، ومنْ تبعهم بإحسان، والتي بيّنها أهل العلم، وأئمة المسلمين .

فأولاً وثانيا: من شروط مَنْ يتصدّر للردّ على المُخَالف: العلمُ والعَدل، وضدّهما الجَهل والظلم ..

فيكون الكلام والنقد، قائماً ومبنياً على العلم بكل الوجوه: من العلم بخطأ المخالف، وثبوت خطئه عليه، ووقوفه على البيّنات التي تثبته، والعلم بوجه الخطأ في قوله أو فعله ..

فيتصفّ في رده بالعدل والإنْصاف، فلا يظلم في ردّه عليه ولا يتعدَّى، ولا يقوّله ما لم يَقل، ولا يُقوله لوازم قوله، ونحو ذلك مما يخرجه عن العدل والإنصاف ..

وهذا دأب السلف ومنهاجهم، ومن يقف على أيِّ كتابٍ من كتبهم في الردِّ على المُخالفين للحق، من أهل الأهواء والبدع فضلاً عن غيرهم، يتبيّن له ذلك .

فإذا أخطأ شيخٌ أو عالِم أو داعية؛ ووقع في زلة واضحة وظاهرة؛ مخالفة للكتاب والسنة؛ **فالتحذير منه في هذا الأمر مطلوب شرعًا؛ حفظاً للدّين؛ وصيانةً للشّرع المُبين** .. فمن منهج السلف الصالح .. دفع البدعة إذا وقع فيها شخص وأخذ يدعو لها .. أو وقع في انحراف في العقيدة؛ أو في المنهج الدعوي؛ كالذين يدعون الناس للخروج؛ ويهيجون الشباب على أولياء أمورهم .. أو يتكلمون في قضايا خطيرة على أمْن البلد؛ وأعْراض المسلمين .. فلا يُسكت عنها .. بل يجب أنْ نحذّر منه ومنها .. وأن يكون ذلك **بالعدل بدون إفراط ولا تفريط ..**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ولمَّا كان أتباع الأنبياء؛ هم أهل العلم والعدل , كان كلام أهل الإسلام والسُّنة مع الكفار وأهل البدع: بالعلم والعدل , لا بالظنِّ وما تهوى الأنفس " . كما في الجواب الصحيح (22/1).

وقال أيضاً: " وأئمة السنّة والجماعة , وأهل العلم والإيمان , فيهم العلم والعدل والرحمة , فيَعْلَمون الحق الذي يكونون به موافقين للسُّنّة؛ سالمين من البدعة؛ ويَرحمون الخَلْق؛ فيُريدون لهم الخير والهُدى

والعلم , لا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم وبيّنوا خطأهم؛ كان قصدهم بذلك بيان الحق , ورحمة الخلق " . الرد على البكري (ص 256).

والتحذير حتى يكون موفّقًا؛ لا بد أنْ يكون بنيّةٍ صالحةٍ مخلصة؛ بقصد حماية الدين والعقيدة والمنهج؛ والالتزام بها .. وليس بقصد الانتقام والتشفي؛ وتصفية الحساب .. لا؛ بل يكون الهدف الحرص على الدّين؛ وبقائه صافياً نقيًا؛ ودفع كل ما يدخل فيه مما ليس منه ..

والذي يقوم بهذا الأصل العظيم؛ هم أهل العلم المختصون .. وليس أفراد الناس وعوامّهم .

وهذا الأمر: هو من خصائص هذه الدعوة المباركة .. وهو محاربة البدع؛ وبيان الخطأ ..

أما القضايا الفرعية الخلافية؛ فالأمر فيها أهونُ بكثير؛ كاختلاف الصحابة في كثير من الأمور الفقهية؛ لاختلاف الفهم فيها؛ فهذا أمرٌ يَسوغ فيه الخلاف .. وكل قضية نعطيها حقّها ..

- ويجب أن ننتبه إلى أنّ التفريط في هذا الجانب؛ ليس من الدين أيضاً .. فكتاب الله مليء بجدال المشركين؛ والردّ عليهم؛ وبيان باطلهم بالحُجج؛ والرد على اليهود وافتراءاتهم؛ والرد على النصارى وشركهم؛ والرد على عبّاد الأصنام .. وعباد الشمس والقمر .. وعباد النار .. وهكذا ..

فالسلفي دائمًا منهجه وسط؛ كما أمر الله تعالى؛ وكما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وسط في الأمور ومن ذلك الردّ على المخالف ... فلا يُهمل الكلام في الفرق المنحرفة؛ ويسكت عن الأخطاء والمخالفات ..أو يتحسس كثيرًا منها؛ ويعتبرها غيبة محرمة .. فهذا جهل بنصوص الشرع ..

فإذا أنتَ تكلمت في داعية؛ أو شيخ منحرف يدعو إلى بدعة منكرة في العقيدة .. إلى الخروج مثلًا؛ أو إلى تأويل وأشعرية .. أو تصوف ... أو إلى عبادة القبور .. فإذا حذّرت منه؛ قد يأتيك إنسان يقول هذه غيبة لا تجوز ..؟!

طبعًا هذا جهلٌ بالشرع والنصوص .. فليس هذا من الغيبة المحرّمة؛ بل هي غيبة شرعية .. بل واجبة .. هذه أجاز النبي صلى الله عليه وسلم ما هو دُونها .. وهو أنّ الرجل إذا جاءك يسأل عن فلان: هل يصلح للزواج أو لا يصلح ؟؟ فالنبي صلى الله عليه وسلم تكلم في معاوية رضي الله عنه وبيّن أنه فقير؛ لما سألته فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد تقدّم للزواج بها؛ فقال: صعلوك لا مال له .. وأما أبو الجهم فضرّاب للنساء؛ انكحي أسامة ...الحديث في الصحيح .

فهذه الغيبة إذا جازت لمصلحة فردية؛ مصلحة الزواج لفرد .. فكيف إذا كانت مصلحة أمة ودينها ؟!

فهذه الأمور تعتبر من الذّب عن دين الله .. ولهذا لا يستغني طالب العلم السلفي؛ عن سماع النقد للجماعات المخالفة للمنهج السلفي: الإخوان المسلمين / التبليغ / التكفيريين / الصوفية / الروافض ..

كل هؤلاء نحن بحاجة أنْ نَسمع ما فيهم من أخطاء ومخالفات ونحذّر .. ولا بأس أنّ الإنسان بين فترة وأخرى إذا دعت الحاجة .. لا يكون ديدني فقط دائمًا أكتب في تويتر عن كذا .. أكتب بجريدة بمجلة .. لا؛ لكن إذا دعت الحاجة؛ ووُجِدت الغفلة عنهم .. اغتر الناس ببعض الشخصيات .. وهذا كثير ..

فاليوم الإعْلام قد يلمّع بعض الشخصيات المنحرفة عن الصراط المستقيم .. فنحن بحاجة أن نوعّي الناس ليعرفوا منهج هذا الرجل .. ما هو طريقه ومنهجه ؟ وما هي سنته وعادته ؟ وما حياته ومذهبه ؟ حتى نكون على حذر؛ ولا نكون أمة غافلة .. تغتر وتنخدع بكل إنسان ..

السؤال السادس: هل مِن الحِكْمة التطرّق للمدرسة العقلية؛ وبيان مخالفاتها في الدّورات التخصصية العلمية المنهجية للدارسات ؟؟

الجواب:

نعم؛ هذا أمرٌ مهم؛ فأصْحاب المدرسة العقلية يُقدمون العقل على النقل، ولا شك أنها مسألةٌ خطيرة جدًا .. بل هي من أكبر المدارس التي أضرّت بالمسلمين؛ وأثّرت تأثيرًا كبيرًا في عقائد المسلمين ومنهجهم إلى يومنا هذا .. وما هذه الأسئلة؛ أو بعضها التي وجهت إلينا؛ إلا بسبب التأثر بهذه المدرسة المنحرفة عن الصراط المستقيم ..

ولا شك أنّ **خطورة هذه المدرسة تَكْمن في أنّها تهوّن من شأن النصوص؛ ومن شأن الوحي الشريف** .. بالتقدّم عليها بالرأي والعقل، وقد نشأ عندها كذلك بدعٌ مُنْكرة؛ كردّ أحاديث الآحاد في العقائد .. بل بعضهم يردّها حتى في العبادات والأعْمال والدعوة **؟!**

فإنْ كان هناك مناسبة للنّقد لهذا المنهج؛ فلا شك أنْ هذا مطلوب حماية للدين؛ وحماية للمسلمين من الانحراف .. إما بشكل إقامة دورة بهذا الموضوع بصفة خاصة؛ أو يكون هذا من خلال مواضيع أخرى؛ يعني جاء عرض فيها كلام عن مسألة العقل وتقديمه على النصوص ..

فأنا أقول مثل هذا ينبغي أنْ يبين وأنْ يُحذّر الناس من هذا .. ولا يفهم مِن كلامنا أننا نهدر العقل ونرفض العقل بالكلية .. لا .. بل نقصد بذلك المبالغة في تعظيم العقل؛ حتى أوْصله بعضهم إلى التأليه ..

فلا بأس بذلك .. بل **من أصول منهجنا نحن في نقد المخالف والرد عليه حمايةً للدين من عاديات الابتداع والتغيير والتبديل** .. هذا باختصار ..

وننبه: إلى أنّ العقل الصحيح؛ لا يُخالف الشّرع الصريح أبداً؛ كما ألّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه: " درء تعارض العقل والنقل "؛ فلا يُمكن أنْ يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصحيح الصريح .. لكن المشكلة ما هو العقل الصحيح الذي يرجع إليه **؟!** هذا هو الخلاف بين الناس ..

السؤال السابع: هل الحديث عن أفعال الله تعالى؛ والتركيز عليه؛ من أساسيات المدرسة العقلية؛ وهل هو مخالف لمنهج السلف ..؟؟!

الجواب:

الحديث عن أفعال الله تعالى؛ هو حديث عن توحيد الربوبية .. وهو من أنواع التوحيد؛ لكن من المعلوم أنّ توحيد الربوبية كانت تقرُّ به الأمم المشركة الكافرة؛ كما قال الله تعالى عنهم: (ولئنْ سَألتَهم مَنْ خَلَق السّماوات والأرْض ليَقولن الله) الزمر: 38.

وقال: (ولئنْ سألتهم مَنْ خَلَقهم ليقولن الله) الزخرف: 87 .

وقال: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) العنكبوت: 61 .

فهذه كلها من أفعال الله: الخَلق؛ والرزق؛ والإيجاد والإحياء والإماتة؛ وهذا كله مما كان يعتقده المشركون .. والرسل ما جاءت بهذا التوحيد؛ لأنه أصلًا موجود عند الناس ..

وإنما جاءت بتوحيد الألوهية؛ وهو إفْراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له ..

يعني بتوحيد أفعال المخلوقين لله في العبادات؛ الذي هو توحيد الألوهية ..

فهذا التوحيد هو الذي جاءت به الرسل؛ كما قال تعالى: (وما أرْسلنا مِنْ قبلك مِنْ رسولٍ إلا نُوحي إليه أنَّه لا إله إلا أنا فاعبدون) سورة الأنبياء: 25 .

(فاعبدون) هذي أفعال المخلوقين ..

فقولهم: إنّ من معاني التوحيد أنه تعالى: واحد في أفعاله لا شريك له، وأنَّ الله ربّ كل شيء وخالقه، معنى صحيح، وهو حق .

لكن الخطأ الذي وقع فيه الأشاعرة هنا؛ وكذلك أهل الكلام والمتصوفة؛ هو أنّهم فهموا أنَّ هذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأنه المقصود بشهادة: أنْ لا إله إلا الله، وهذا خطأ وباطل ..

فمن المعلوم أنّ هذا التوحيد قد أقرّ به المشركون، ولم ينكره أحدٌ من بني آدم؛ إلا شذّاذٌ كفرعون والنّمروذ وأشباههم .

فتوحيد الألُوهية الذي هو محلّ الخلاف بين الرسل وبين أقوامهم .. هو توحيد الألوهية .. وهو الذي حصلت فيه المعركة بين الرسل وأقوامها .. وافترق به الناس إلى مؤمنين وكفار؛ وأهل جنةٍ وأهل نارٍ؛ وهو الذي استبيحت به الدِّماء .. دماء المشركين؛ لأنهم لم يقرّوا بإفراد الله بالعبادات .. مع أنهم يقرون أنّ الله هو الرازق الخالق المالك المدبّر؛ الذي يحيي ويميت؛ والذي ينزل من السماء ماءً فيُحيي به الأرض بعد موتها .. إلخ

فتوحيد الأشاعرة وتوحيد الصوفية؛ هو توحيدٌ ناقصٌ، يقتصر على توحيد الربوبية فقط، .. وهو الحديث عن أفعال الله: الله يفعل كذا، والله يرزق، والله يعطي .. ويمنع .. ويُحب ويبغض .. ويفرّج الكرب .. هذا هو توحيد الأشاعرة؛ وتوحيد الصوفية .. كما قال شيخ الإسلام وغيره .. ولا يذكرون توحيدَ الألوهية؛ وهو التوحيدُ الذي مِنْ أجله أُرسلت الرسل .. وأُنْزلت فيه الكتب .. وافترق فيه الناس إلى مسلمين ومُشركين .. وقامت فيه الحرب بين الموحدين والوثنيين ..

لهذا .. **فالإغْراق في الكلام على هذا النّوع ... وترك الحديث عن توحيد الألوهية، لا شك أنه ضياع للتوحيد والإسْلام ..**

ولذا فهم بعد ذلك؛ لا ينكرون على الصوفي إذا توجه إلى القبور؛ وزعم أن لها شفاعة؛ ومقامًا عند الله، أو ذبح لها أو لغيرها من دون الله تعالى ؟!

السؤال الثامن: هل هناك محذورٌ شرعي من اسْتخدام المُصطلحات الجديدة في الدعوة؛ وفي مجالس طلب العلم مثل (ورشة عمل) ؟!

الجواب:

الورشة في الاصطلاح المعاصر: هي مجهودٌ يبذله الإنسان لتحصيل منفعة؛ أو أَعمالٌ يدويَّةٌ تنْجَزُ بِاليَدِ .

أو عمل جماعيّ ومجهود تعاونيّ؛ لأفراد مجموعة؛ أو فريق لتحقيق هدف مشترك .

وأحياناً يراد بها حلقة دراسيَّة؛ أو سلسلة من الاجتماعات لمجموعة صغيرة من النَّاس؛ تؤكِّد على التَّفاعل والتَّعاون؛ وتعزيز مفهوم الانتماء، والتعاون بين الأفراد، والعمل كأسرة واحدة .

وهذه الاصطلاحات؛ تصلح في الأعمال الوظيفية والمهنية؛ أكثر منها في حلقات القرآن الكريم وعلومه؛ والسنة النبوية الشريفة وعلومها؛ والفقه وما أشبه ذلك .. والله أعلم ..

وختامًا ..

نذكِّر أخواتنا؛ بأهمية المسؤولية التي تقع عليهن؛ وأنها مسئولية عظيمة؛ وبناتنا بحاجة لجهودكن ودعوتهن وتعليمهن .. ويتعرضن الآن في كثير من الأحيان؛ إلى صياغة عقولهن على شيءٍ بعيد عن الكتاب والسنة؛ وحال سلف الأمة ..

فنسأل الله أنْ يُوفقكنّ ويُسدد خُطاكن .. لما يحب ويرضى من العلم النافع؛ والعمل الصالح .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين